



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسدي

فصول

مجلة النقد الأدبي

تصدر كل ثلاثة أشهر

المجلد الأول

العدد الثاني

يناير ١٩٨١

ربيع أول ١٤٠١

٢

فصول

مجلة النقد الأدبي

تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

صلاح عبد الصبور

مشارو التحرير

د. زكي نجيب محمود
د. سهير القلماوي
د. شوقي ضيف
د. عبد الحميد يونس
د. عبد القادر القط
د. مجدى وهبه
د. مصطفى سوييف
نجيب محفوظ
يحيى حقي

رئيس التحرير

د. عز الدين اسماعيل

نائب رئيس التحرير

د. صلاح فضل

د. جابر عصفور

سكرتيرة التحرير:

إعتدال عثمان

سكرتيرة التحرير التنفيذي:

محمد ابودومة

الإشراف الفني:

سعيد المسيري



• الاشتراكات من الخارج :

عن ستة (أربعة أعداد) ١٥ دولاراً للأفراد و ٢٤ دولاراً للهيئات . مضافاً إليها مصاريف البريد (البلاد العربية - ما يعادل ٥ دولار) .
(أمريكا وأوروبا ١٥ دولار) .

• ترسل الاشتراكات على العنوان التالي :

مجلة فصول - الهيئة المصرية العامة للكتاب شارع كورنيش النيل - بولاق - القاهرة - ج.ع.م. تليفون المجلة ٩٧٢٢٤٩ .

• الإعلانات

يتفق عليها مع إدارة المجلة أو مندوبيها المصدين .

• الأسعار في البلاد العربية

الكويت ٧٥٠ ل.س. - الخليج العربي ١٥ ريالاً قطرياً - البحرين ١ دينار - العراق ١ دينار - سوريا ١٤ ليرة - لبنان ١٠ ليرة - الأردن ٨٥٠ ل.س. - السعودية ١٥ ريالاً - السودان ١ جنيه - تونس ١ دينار - الجزائر ١٥ ديناراً - المغرب ١٥ درهم - اليمن ١٢ ريالاً - ليبيا ١ دينار .

• الاشتراكات

• الاشتراكات من الداخل :

عن ستة (أربعة أعداد) ٢٠٠ قرشاً . . ومصاريف البريد ١٠٠ قرش .
ترسل الاشتراكات بمجلة بريدية حكومية .

مناهج النقد الأدبي المعاصر

الجزء الأول

محتويات العدد

صفحة

- أما قبل ريس التحرير ٥
- هذا العدد التحرير ٦
- مدخل :
- مناهج النقد الأدبي
- بين المعاصرة والوصفية د. عز الدين اسماعيل ١٥
- الاتجاه النفسي :
- التحليل النفسي للأدب د. فرج أحمد فرج ٢٦
- الدراسة النفسية للإبداع الفني د. مصرية حنونة ٣٦
- قيمة الإصلاح
- ومناظرة إليها في سير بعض الأدباء د. محي الدين أحمد حسين ٥٢
- الاتجاه الاجتماعي :
- الأدب والمجتمع د. صبرى حافظ ٦٥
- اتجاهية الأدب د. جنى بوزعل ٧٨
- عن النبوية التوليدية د. جابر عصفور ٨٤
- علم اجتماع الأدب د. لوسيان جولدمان ١٠١
- الأسلوبية :
- علم اللغة والنقد الأدبي د. عبده الراجحي ١١٥
- الأسلوبية الحديثة د. محمود عياد ١٢٣
- الأسلوبية : علم وتاريخ د. سليمان العطار ١٣٢
- مع الشابي :
- بين القول الشعري والمظهر النفسي د. عبد السلام المنسى ١٤٥
- النبوية :
- الشكلية : ماذا يبقى منها ؟ د. فراح أحمد ١٦٠
- البتالية : من أين وإلى أين ؟ د. نيلة إبراهيم ١٦٨
- الشحاذ : دراسة نفس - نبوية د. هدى وصفى ١٨١
- موقف من النبوية د. شكرى عياد ١٨٨
- ندوة العدد :
- (اتجاهات نقد الأدبي) إعداد : اعتدال عثمان ٢٠١
- الواقع الأدبي
- تجربة نقدية :
- موسم الهجرة إلى الشمال سيزا قاسم ٢٢٤
- عرض دراسات حديثة :
- البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي عبد الحميد حواس ٢٣١
- الألسنية والنقد الأدبي شكرى ماضي ٢٣٨
- البويطيقا النبوية ماهر شليق فريد ٢٤٦
- عن فن الأدب العربي في العصر الوسيط حسن البنا ٢٥١
- متابعات أدبية :
- عبد الفتاح زرق وبداية اللعبة الفنية د. سيد حامد التناج ٢٥٦
- رامة والتنين سامى خشبة ٢٦١
- لصاص بلا عاطفة د. نعم عطية ٢٧٠
- الدوريات الأجنبية :
- الدوريات الإنجليزية فريال غزول ٢٧٢
- الدوريات الفرنسية د. هدى وصفى ٢٨٠
- رسائل جامعية :
- عرض رسائل شاكى عبد الحميد سليمان ٢٨٥
- تاء أنس الوجود
- سجل رصدي ٢٩١
- بيليو جرافيا : ٢٩٧
- تقارير :
- مؤتمر الكتاب السابع عشر نهار عبد الله ٣٠٠
- ترجمة د. إسحاق عبيد
- This Issue -



علم اللغة والنقد الأدبي

«علم الأسلوب»

مركز تحقيقات كامپيوتر علوم اسلامي

منذ القديم والدرس اللغوي متصل بالنص الأدبي ، كان كذلك في الشرق ، وكان كذلك في الغرب . واللغويون المحدثون يأخذون على الدرس القديم ، أو ما يسمونه « النحو التقليدي » ، أنه يصدر أولا عن « المعنى » ، وأنه يبنى على نصوص مختارة اختيارا دقيقا بحيث تمثل « المستوى العالي » من الاداء اللغوي . والذي لا شك فيه عندنا أن الدرس اللغوي عند العرب صدر - في نشأته - عن اتصال بالنصوص الفنية ، وبخاصة في صورتها القرآنية ، وفي صورتها الشعرية ، ومن هنا كان الانتقاد الحديث الذي يوجه إليه من أنه لا يمثل العربية ، وإنما يمثل جانبا معينا منها ، في المستوى ، وفي الزمان ، وفي المكان .

تقدم شيئا جديدا إلا أن يكون تطبيقا حيا لما نحتويه كتب النحو والصرف والبلاغة .

وحيث بدأت النهضة اللغوية الحديثة في الغرب في القرن الماضي فيما يعرف بالفيلولوجيا philology ظلت الآصرة قوية بين البحث اللغوي والأدب . لأن الفيلولوجيا لم تكن تنظر إلى اللغة على أنها غاية في حد ذاتها ، وإنما هي وسيلة لفهم « الثقافة » ، ومن ثم كان تركيزهم على النصوص الأدبية القديمة تحقيقا وتفسيرا ، مما دعا واحدا من كبارهم هو جريم Jacob Grimm . أن

على أننا نشير إلى أن العرب القدماء أفردوا درسا لغويا خاصا للتعليق على النصوص الأدبية كالذي قدمه « الفراء » في « معاني القرآن » ، أو ما قدمه أصحاب الاحتجاج للقراءات « كحجة » أبي علي الفارسي ، و« محتسب » ابن حني ، أو ما قدموه من شرح لغوي للشعر كشرح « بانت سعاد » أو شرح ابن جني لديوان المتنبي . ولكن هذه الأعمال كلها لم تكن تصدر عن نظرية واضحة أو منهج محدد ، وإنما هي ملاحظات لغوية جزئية يسوق إليها النص حسبما كان وينقلها الخالف عن السالف دون أن

مصطلحي «البنية العميقة Deep Structure» و«بنية السطح Surface Structure» وهما مصطلحان يمثلان ركيزة البحث اللغوي الآن عند التحويلين ، وقد كانا دافعا إلى الاستعانة بمباحث «العقل» ومباحث «علم النفس» مما له أثر فيها نحن بصدده الآن .

ولكن إذا كان اللغويون قد سعوا جاهدين في أن يتعدوا بعلمهم عن ميدان النقد الأدبي فإنهم عادوا بهذا العلم إليه من باب آخر ، عادوا ليستخدموا «أدواتهم» اللغوية في تناول النص الأدبي ، وهو ما يعرف الآن بعلم الأسلوب ؟

فما هو هذا العلم ؟ وما هو المنهج الذي يهجه في معالجة الأدب ؟

ولعلني أشير - بدءا - إلى أننا من الأسف - مضطرون دائما أن نقدم الخطوط العامة للمنهج على هيئة دراسة أولية ، لأننا لا تزال متخلفين - في الدرس العربي - تخلفا شديدا عن مسيرة التطور المتلاحق في البحث اللغوي الحديث بحيث تكاد تغيب الأسس الضرورية عن عامة الباحثين الناشئين .

وعلم الأسلوب هو الذي يطلق عليه في الإنجليزية Stylistics وفي الفرنسية La Stylistique وفي الألمانية Die Stylistik ، والباحث في الأسلوب Stylistician هو الذي يطبق منهجه على النصوص الأدبية .

يرى اللغويون أن النقد الأدبي درس «تقسي» يقوم على «الانطباعات الذاتية» ، وعلى «الحدس» ، ومن ثم فهو يقدم ، في رأيهم - مقاييس موضوعية . للعمل الأدبي ، من أجل ذلك يقدمون «علم الأسلوب» كشي يكون الخطوة الأولى أمام الناقد ، تضع بين يديه المادة اللغوية في العمل الأدبي مصنفة تصنيفا علميا لتليها مساعدته على فهم العمل فهما أقرب إلى الموضوعية . ومعنى ذلك أن علم اللغة يطبق «فنون» البحث اللغوي على النص الأدبي وبخاصة فيما يعرف «بمستويات التحليل» على ما يظهر في العرض التالي .

علم الأسلوب إذن فرع من علم اللغة ، لكنه يفترق عنه افتراقا جوهريا لأن مادة الدرس فيها مختلفة ، ولأن هدف الدرس مختلف فيها أيضا . علم اللغة يقصد اللغة

بلفهم إلى أن النصوص الأدبية المكتوبة لا تمثل إلا جزءا يسيرا من اللغة ، وأن عليهم أن يهتموا بدراسة اللهجات والآداب الشعبية .

وظل الأمر كذلك إلى أن ظهر علم اللغة الحديث Linguistics أوائل هذا القرن ، وحين نادى دي سوسير بأن «موضوع علم اللغة الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها» (1) .

وعلم اللغة ينهض في جوهره على أساسين ، أولهما أنه علم Science ، وثانيهما أنه مستقل Autonomous ولعل السبب الأول في هذين الأساسين أن أصحابه أرادوا أن يعدوه عن كثير من العلوم ، وأولها النقد الأدبي الذي يرويه «إنسانيا» «تقسييا» ، وكان دي سوسير قد دعا إلى التفرقة بين La langue (اللغة المعينة) وLe Paroie (لغة الفرد) ، متبها إلى أن علم اللغة يدرس اللغة المعينة التي تمثل الخصائص «الجمعية للمجتمع» ولا ينبغي أن يلتفت إلى «لغة الفرد» لأنها تصدر عن «وعي» ولأنها لذلك تنصف «بالاختيار» الحر . وقد أكد بلو ففيلد بعد ذلك أن دراسة «المعنى» هي «أضعف» نقطة في علم اللغة ، وكل أولئك كان جديرا أن يؤدي إلى قطيعة بين الدرس اللغوي والدرس اللغوي والنقد ، ولئن كان علم اللغة يتميز بالدقة ، و«الموضوعية» فإنه فقد «إنسانيته» واستحال إلى «وصف» محض غارق في المصطلحات والرموز الفنية التي تبدو غريبة على غير المتخصص ، وقد تبدو غير ذات نفع محقق في التطبيق الواقعي ، على أن علم اللغة قد عاد إلى شيء من هذه «الإنسانية» في السنوات الأخيرة حين دعا تشومسكي Chomsky وأتباعه من التحويلين إلى نبذ الوصف «السطحي» والعودة إلى التفسير «العقلي» للغة باعتبارها أهم ما يميز الإنسان ، وباعتبارها خلاقة creative تتكون من عناصر محدودة ولكنها تنتج تركيبات وجملا لا نهاية لها ، ومن ثم فهي لا تخضع للتفسير الآلي Mechanical explanation اقتداء برأي ديكارت (2) . وإذا كان الأمر كذلك فإن علم اللغة ينبغي أن يدرس في ضوء «الطبيعة البشرية» التي تؤكد أن «قدرة» الإنسان على اللغة برهان على أن هناك جانبين مهمين هما «الكفاءة Competence» و«الأداء performance» ، وهذان الجانبان كانا سببا في نشأة

الصوت وفي الكلمة وفي تركيب الكلام . أتى أن لغة الأدب - بمعنى آخر - تكشف عن «الطاقات» التعبيرية «الكامنة» في اللغة العادية ، والتي لا تظهر إلا باستخدام «الفرد» لها استخداما متميزا ، وعلم الأسلوب يهدف إلى دراسة هذه «الكوامن» التعبيرية من دراسته للغة أديب معين . ولعل هذا الجانب يؤكد الصفة التي أكدها تشومسكي بأن اللغة علاقة Creative تتكون من عناصر محدودة وتنتج أو «تولد» أنماطا لا نهاية لها .

ومعنى ذلك أن علم اللغة يدرس «ما» يقال في اللغة ، أما علم الأسلوب فيدرس «كيف» يقال ما في اللغة ، أو أن «الأسلوب» هو ما «يتركه» علم اللغة . وإذا كان علم اللغة «وصفيا» ، وإذا كان النقد الأدبي «تقييما» على ما يقول اللغويون فإن علم الأسلوب «وصفي» تقييمي .

■ اتجاهات علم الأسلوب :

ومن هذا الفهم لمعنى «الأسلوب» تنفرح اتجاهات العلم الذي يدرسه ثلاثة اتجاهات :

١ - إتجاه يدرس الأسس النظرية لبحث الأسلوب ، وهو ما يمكن أن يسمى «علم الأسلوب» العام General Stylistics ، يقدم فيه أصحابه القوانين العامة التي تحكم الدرس الأسلوبي دون أن يكون ذلك مرتبطا بلغة معينة وهو بذلك يضارع علم اللغة العام General Linguistics ، أي أنه علم غير تطبيقي ، وقد ظهرت فيه حتى الآن أبحاث غير قليلة على نحو ما قدمه هاليداي Halliday وأولمان Ullmann وغيرهما^(٤) .

٢ - إتجاه يدرس الخصائص الأسلوبية في لغة معينة ، يهدف إلى بحث «الطاقات التعبيرية» في هذه اللغة سواء في لغة الكتابة أم في غيرها ، وهو بهذا يعتبر عملا تطبيقيا عاما يتناول «التنوعات» اللغوية على غير أساس فردي ، كذلك البحث القيم الذي قدمه David crystal و Derek Davy عن الأسلوب الإنجليزي^(٥) ، حين تناولوا الخصائص الأسلوبية للغة غير الأدبية ، فقدموا لغة المحادثة ، ولغة المعلقين الرياضيين ، ولغة الدين ، ولغة التقارير الصحفية ، ولغة الوثائق

العامية التي لا تميزها خصائص فردية ، أي أنه يقصد اللغة ذات الشكل «العادي» وذات الأنماط العادية مما يستخدمه المجتمع منطوقا في التوصيل في حياته اليومية . ونظرية تشومسكي الجديدة لا تختلف عن النظريات الوصفية السابقة في تحديد المستوى اللغوي لأنها تتوجه عنده إلى الإنسان صاحب اللغة Native Speaker أو ما يسميه بالمتكلم السامع المثالي Ideal Speaker-Hearer في مجتمع لغوي متجانس يعرف لغته معرفة كاملة . وهدف علم اللغة هو أن «يصف» اللغة ويبين «كيف» تعمل ، وهو لذلك يتحرك من «الخاص» إلى «العام» ، ومن «الجزئي» إلى «الكلّي» ، دون أن يلقى بالا إلى الاختلافات النوعية بين الأفراد .

والحق أن علم اللغة - بإصراره على الطبيعة العلمية - قد أحال اللغة إلى شيء كالماء لا طعم له ولا رائحة . وهنا تبدو قيمة علم الأسلوب . وليس من هنا أن نشير إلى الاختلاف الشديد على تعريف «الأسلوب» باختلاف المتناولين له ، ولكن الذي يهمنا هو ما يقصده اللغويون حين يعالجونه في هذا العلم . «الأسلوب» هو شكل من أشكال «التنوع» في اللغة ، فإذا كانت اللغة التي يدرسها علم اللغة هي الأنماط العامة العادية فإن ذلك ينفي أن هذه اللغة ذاتها تنظم «تنوعات» Variations مختلفة على معايير مختلفة من المكان والاجتماع والأفراد . وعلم الأسلوب يقصد بعضا من هذه التنوعات وبخاصة على مستواها الفردي .

ولغة الأدب هي نمط من أنماط (الأسلوب) لأنها «تنوع» لغوي فردي ، والبون شاسع بين الكتابة الأدبية واللغة العادية ، لأن اللغة العادية «تلقائية» لا تصدر عن «وعي» ولا عن «اختيار» ، وهي تشكل معظم النشاط اللغوي الإنساني ، أما الكتابة الأدبية فهي لغة فردية خاصة ، تصدر عن اختيار واع ، ومن ثم كانت خروجا عن النمط العادي Deviation from the norm ومن هنا أيضا كان قول القائلين بأن الأسلوب هو الرجل ، أو بأن الأسلوب كصفات الإنسان . على أن هذا الخروج عن النمط العادي ينبغي ألا يؤخذ ضربة لازب ، لأن اللغة العادية التي يدرسها علم اللغة إنما تقدم العناصر العامة في لغة الحياة ، ولا تنفصل عنها لغة الأدب ، لكنها تقيم معها «علاقة خاصة» باستخدام عناصرها نفسها لبناء هياكل جديدة خاصة بها ، مضيئة إلى اللغة قواعد جديدة في

وقالها أن يحاول البحث عن الشواهد الأخرى التي تفهم على ضوء هذا العامل النفسي .

واللغويون في أغلب الأمر يرفضون هذا الاتجاه ، ويرونه غير بعيد مما يأخذونه على النقد الأدبي باعتباره ذاتيا وحدسيا ، ولم ينكر شبتز ذلك ، بل أكد أن إتجاهه يعتمد على « الذكاء » و« الخبرة » و« الإيمان » . وينكر عدد آخر من اللغويين أن تكون الخصائص الأسلوبية استجابة للملامح عميقة في عقل المؤلف أكثر من كونها « سلوكا » لغويا يكشف عن « عادات » لغوية فحسب .

(ب) اتجاه وظيفي Functional يرى أن العمل الفني لا ينبغي أن يحلل على مستويات جزئية ، وإنما على أساس « السياق » وهو مصطلح أخذ طريقة إلى الاستقرار في الدرس اللغوي عند فيرث وأتباعه .^(١٠) ودراسة الأسلوب هنا تقرر أن كل كلمة إنما هي جزء في جملة ، وأن كل جملة جزء في فقرة ، وأن كل فقرة جزء في موضوع . وعلى الباحث أن يدرس وظيفة كل هذه الأجزاء في « سياق » العمل الفني ، ويمكن أن تسع دوائر البحث في السياق من البحث في قصيدة واحدة أو في قصة إلى البحث في ديوان كامل ، أو في أعمال فنية في فترة زمنية محددة ، وإلى البحث في أعمال المؤلف كلها ، أو في فن برمته حتى إنه يمكن الوصول إلى الخصائص الأسلوبية لثقافة بذاتها . وهذا اتجاه يتبعه كثير من الباحثين في الأسلوب لكنه يكاد ينتهي إلى « إجراءات » تتكرر تكرارا مملا عند تصنيف الظواهر الأسلوبية حتى يتتظمها سياق خاص .

(ج) اتجاه إحصائي Statistical وهذا هو الاتجاه المسيطر الآن على الدرس الأسلوبى ، وهو يصدر عن اقتناع بأنه من المهم جدا أن نقف على درجة حدوث ظاهرة لغوية معينة في أسلوب شخصى معين وقوفا دقيقا ، لا تكفى فيه الملاحظة السريعة ، ولا يجزئ عنه الإحساس الصادر عن التقاط الظواهر . ولذلك يقتضى علم الأسلوب أن يدرس الباحثون فيه أصول علم الإحصاء دراسة كافية تمكنهم من استخدام وسائله في رصد الظواهر .^(١١) والذي يقرأ الآن بعض الدراسات الأسلوبية مما يطبق الإحصاء تطبيقا غالبا سوف يصطدم بأجزاء كبيرة منها تملؤها « الجداول » الإحصائية والأرقام ، مع التقدم الآن إلى الإستعانة بالحاسبات الآلية ، مما يضئ على العمل طابعا غريبا ، ومما يشعر

القانونية . ومن ذلك أيضا ما قدمه Leech عن لغة الشعر الإنجليزي^(١٢) ، وما قدمه Lodge عن لغة القصة^(١٣) . ومن الواضح أن الغرض من هذا الإتجاه تقديم المحيط الأسلوبى العام لتنوع لغوى محدد على أساس الموقف الكلامى أو على أساس النمط الأدبى ، واصحابه يطبقون ما يقرره علم الأسلوب العام من مستويات التحليل على أساس الصوت والكلمة والتركيب .

٣ - أما الإتجاه الثالث فهو الذى يدرس لغة شخص واحد كما يمثلها إنتاجه الأدبى ، وهذا هو الإتجاه الغالب في علم الأسلوب ، وإليه تنجّه معظم الرسائل الجامعية المتخصصة^(١٤) . وهو يخضع لغة الأديب لأنواع من التحليل يحاول بها أن يصل إلى معايير موضوعية تعين الناقد على التفسير ؛ على أن هناك ثلاثة اتجاهات أيضا في التحليل اللغوى للنص .

(أ) اتجاه نفسى يصدر عن إيمان بأن « الأسلوب هو الرجل » ، وهو يرى أن دراسة الأسلوب لا تكون صحيحة إلا في إطار دلالتها على خصائص المؤلف النفسية ، ومن أشهر المحاولات في هذا الإتجاه ما قدمه العالم النمساوى Leo Spitzer الذى قدم دراسات تطبيقية على عدد من الأدباء متأثرا بأراء فرويد في التحليل النفسى ، وقد توصل هو إلى طريقته الخاضرة في تحليل الأسلوب فيما أسماه « الدائرة الفيلولوجية Philological Circle » وهو يشير فيها إلى منهجه على النحو التالى :

« إن ما يجب أن نعمله هو أن نبدأ من السطح إلى مركز الحياة الداخلى للعمل الفنى ، وذلك بأن نلاحظ ، أولا ، التفصيلات الظاهرة التى تظهر على سطح عمل معين ، ثم تصنف هذه التفصيلات إلى مجموعات ونبحث عن طريقة تكاملها في الصدور عن مبدأ أخلاقى يكون كامنا في « نفس » الفنان ، وأخيرا نعود على بدء بأن نبحث هذا « الشكل الداخلى » عند الفنان وانتظامه كل الظواهر الأسلوبية التى لاحظناها أولا »^(١٥) .

ومعنى ذلك أننا أمام ثلاث مراحل في التحليل ، أولها أن يظل الدارس يقرأ العمل الفنى من أجل أن يتوحد مع جو هذا العمل حتى يلتقى بخاصة أسلوبية تكون غالبية عليه ، وثانيها أن يبحث عن تفسير نفسى لهذه الخاصة ،

ما يلي :

١ - أن الإحصاء يقدم المادة الأدبية التي يدرسها الباحث تقدما دقيقا ، والدقة في ذاتها مطلب علمي أصيل .

٢ - أن التحليل الإحصائي يساعد أحيانا على حل مشكلات أدبية خالصة ، فهو قد يساعدنا ، إلى جانب شواهد أخرى في « توثيق » النصوص الأدبية ، حين نحاول نسبة أعمال معينة إلى مؤلف معين ، وقد تساعدنا على فهم « التطور التاريخي » في كتاباته .

٣ - ليس من شك في أن ورود ظاهرة معينة مرة واحدة ، أو خمسين مرة ، أو ثلاثمائة مرة لا بد أن يكون ذا دلالات مختلفة ، ومن ثم فإن الإحصاء يفضي بنا إلى البحث عن هذه الدلالات .

٤ - أن التحليل الإحصائي يكشف في كثير من الأحيان عن « مقاييس » محددة في توزيع العناصر الأسلوبية عند مؤلف معين بحيث يمكن أن تؤدي إلى أسئلة تفيد في التفسير الجمالي .

ومهما يكن من أمر فلا يجد الباحثون بأسا من الاستعانة بالانجاهات الثلاثة النفسية ، والوظيفية ، والإحصائية ، وفق ما تقتضيه الحال .

• مستويات التحليل :

على أن أهم ما يطبقه علم الأسلوب داخل هذه الانجاهات أنه يستخدم مستويات التحليل اللغوي ، وهي :

١ - تحليل الأصوات .

٢ - تحليل التركيب .

٣ - تحليل الألفاظ .

أولا : الأصوات :

والتحليل الصوتي في علم الأسلوب Phonostylistics يقتضى أولا معرفة الخصائص الصوتية في اللغة العادية ، وبعد ذلك يتوجه إلى رصد الظواهر الخارجة عن النمط والبحث في دلالتها فيما يفيد دراسة الأسلوب . والأغلب أننا لا نحلل النص الأدبي تحليلا صوتيا يتتبع كل التفصيلات التي يتتبعها علم الأصوات ، فنحن هنا لا نهتم اهتماما كبيرا بالأصوات الصامتة Consonants والصائتة Vowels مثلا إلا أن تكون لبعضها درجة واضحة من

دارسي الأدب على العموم أن هذا الاتجاه يستعمل لغة غير مفهومة لأنها لغة غير التي ألفوها في تناول العمل الأدبي . وكان اللغويين لم يكتفوا بما أدخلوه في الدرس اللغوي من مصطلحات التحليل العلمي وفنونه حتى يطبقوا ذلك على نصوص الأدب ، وقد بدأ دفع بعض الناس أبا جعفر النحاس في النيل حيث لقي حتفه وقد كان يحدث نفسه ببعض مسائل النحو لأنهم سمعوه يتحدث لغة غير مفهومة فظنوه يستخدم وسائل السحر أو لغة الشياطين . وينضاف إلى هذه الطبيعة الغريبة في تناول النص الأدبي أن الإحصاء في ذاته يحمل أوجها من النقص نشير إلى بعضها فيما يلي :

١ - أن الإحصاء يقتضى جهدا كبيرا قد يكون غير مطلوب في أحيان كثيرة ، إذ أن رصد بعض الظواهر تكفيه الملاحظة « بالعين المجردة » كما يقولون .

٢ - أن غلبة العمل الإحصائي تحمل في طياتها خطر سيطرة « الكم » على « الكيف » مما يفقد دراسة الأسلوب هدفها الأساسي .

٣ - أن الافتتان بالأرقام يوهم بدقة المنهج ، ولكنها قد تكون دقة مخادعة عند تناول الأعمال الأدبية ، لأن كثيرا من الظواهر يتداخل تداخلا عضويا بحيث يصعب إحصاء واحدة منها إحصاءا منفردا ، وقد أشار أولمان إلى الدراسة التي قدمها جراهام Graham عن الصور عند Proust حيث أحصى هذه الصور في ٤٥٧٨ صورة ذاكرة أن الاستعارات والتشبيهات عند هذا الكاتب تتداخل وتتكامل بحيث يكون ضريا من العبث أن نبحث عن تحديد « رقمي » دقيق لها .^(١٢)

٤ - أن الإحصاء بهذا التفتيت الرقمي يفضي إلى خطر آخر هو فقدان السبيل إلى فهم تأثير « السياق » في العمل الأدبي ، وهو مطلب مهم جدا على ما ذكرناه آنفا .

٥ - أن الدقة الإحصائية لا تجدى نفعا في « الإمساك » ببعض المسائل الغامضة أو النسبية أو المرنة كالنفقات العاطفية والإيقاع الرقيق أو المركب وغيرها

ومع كل ما ذكرناه من أوجه النقص في الاتجاه الإحصائي مما يجعل عددا من الباحثين يعزف عنه فإنه لا يعدم جوانب مفيدة في دراسة النصوص الأدبية نذكر منها

Is whispering nothing?
Is leaning cheek to cheek? Is meeting noses?
Kissing with inside lip? Stopping the career
Of laughter with a sigh (a note infallible
Of breaking honesty)? Horsing foot on foot?
Skulling in corners? Wishing clocks more swift?
Hours, minutes? moon, midnight? And all eyes
Blind with the pin and wed, but theirs, theirs
only.

النبر، والمقطع :

ودراسة الوزن تقودنا إلى ضرورة دراسة «النبر» Stress ، وهي دراسة لم تحظ حتى الآن باهتمام في الدرس العربي رغم أهميتها في اختلاف «المعنى» وتنويعه ، وهي ذات أهمية خاصة في دراسة «المقطع» في اللغة وعلى الأخص فيما يتصل بالشعر ، ولا نحسب أن القدماء كانوا غافلين عن هذه الظاهرة لأن حديثهم عن التفعيلة وما تتكون منه من أسباب وأوتاد وفواصل وما يطرأ عليها من زخافات وعلل لا يبتعد كثيرا عن دراسة المقطع ، وقد كان جديرا بالمتابعة والتطوير لكننا وقفنا عند الذي رصدوه وقررروه .

وتأتى بعد ذلك دراسة «التنغم» Intonation ودراسة «القافية» ، وكل أولئك كما هو ظاهر ليس صورة كاملة لما يقدمه علم الأصوات العام ، ولكنه يركز على الظواهر التي يمكن أن تنبئ عند رصدها وتصنيفها ، في فهم أسلوب معين .

وغنى عن البيان أن ذلك ليس مقصورا على الشعر وحده ، لأن الأسلوب النثري يتنظم أنماطا كثيرة من الوقف والنبر والمقطع والتنغم .

■ ثانيا : التركيب :

وقد احتفل علماء العربية بدراسة الجملة فقدموا أنماطها وأركانها ودلالاتها الحقيقية والمجازية وطبقوا ذلك على كثير من النصوص وبخاصة على القرآن الكريم .

وعلم الأسلوب يرى في دراسة «التركيب» عنصرا مهما جدا في بحث الخصائص المميزة لمؤلف معين ، وهو في الأغلب يتوجه إلى بحث العناصر الآتية :

- ١ - دراسة طول الجملة وقصرها .
- ٢ - دراسة أركان التركيب وبخاصة المبتدأ أو الخبر ،

الكثيرة تفتضي الالتفات والتفسير . أما الجوانب المهمة الأخرى التي يركز عليها التحليل الصوتي للأسلوب فتكاد تنحصر فيما يلي :

الوقف :

وهو ظاهرة صوتية هامة جدا لأنها ترتبط بالمعنى ارتباطا مباشرا ، ومن المعروف أن العرب القدماء اهتموا بها اهتماما واضحا في قراءة النص القرآني حتى إنهم أفردوا لها كتباً متخصصة درسوا فيها أنواع الوقف من واجب وجائز وممتنع وحسن وقبيح وغير ذلك ، ورسم المصحف يشمل كما نعلم رموزا تحدد أنواع الوقف للقارئ . والأمر في ذلك مفهوم لأنه يتصل بالقراءة التي هي في أساسها أصل من أصول التشريع . على أن القدماء لم يلتفتوا إلى هذه الظاهرة عند تناولهم للشعر ولم يرد عنهم ما يفيد انتفاعهم بها في شروحيهم الكثيرة التي وصلت إلينا . والحق أن وجود الشعر القديم مكتوبا بين أيدينا حرمانا من رصد هذه الظاهرة فيه ، وليس بمستساغ لدينا أن الشعر العربي بأوزانه المعروفة بحدودها في التفعيلة والشطر والبيت يغنى عن ملاحظة «الوقف» فيه ، وليس بمستساغ عندنا أيضا أن أبا تمام والبحري والمتنبي كانوا ينشدون شعرهم فلا «يقفون» إلا عند آخر الشطر أو آخر البيت ، ولا نشك في أنه لو أتاحت لنا فرصة سماعهم أو قراءة وصف لطريقة إنشادهم لكان لدرس «الوزن» الشعري شأن آخر .

الوزن :

دراسة «الوقف» إذن تقود إلى دراسة «الوزن» وتكشف عما يمكن أن ينتظمه من «تنوعات» فردية ذات دلالات خاصة ، والحق أن ذلك قد يكون أكثر وضوحا في دراسة «الشعر الحديث» الذي لا تتساوى فيه أبيات القصيدة الواحدة ، ويؤدي الوقف دورا أساسيا ، لكن ذلك مفيد أيضا في دراسة الشعر التقليدي ، وقد قدم علماء الأسلوب الغربيون دراسات كثيرة حللوا فيها أنماط الوقف على أنواع كثيرة من الشعر ، مشيرين إلى أنه ليس مقصورا على ما يعرف «بحدود» الكلمات أو حدود الأبيات ، بل قد يكون وقفنا داخليا لا مناص منه في فهم الشعر وفي فهم الوزن الذي ينتظم فيه ، ومن هذا الوقف الداخلي ما قدموه من دراستهم لشعر شكسبير في مثل الأبيات الآتية التي تلحظ فيها أهمية الوقف وضرورته غير مرتبطة بنهاية الأبيات . (١٣)

والفعل ، والفاعل ، والعلاقة بين الصفة والموصوف ،
والإضافة ، والصلة وغير ذلك .

٣ - دراسة « الروابط » كبحث استعمال المؤلف
للواو ، أو الفاء ، أو ثم ، أو إذن أو أما ، أو إنا ودلالة
كل ذلك على خصائص الأسلوب .

٤ - دراسة « ترتيب » التركيب ، وهو من أهم عناصر
البحث في الأسلوب ، لأن تقديم عنصر أو تأخيرها يؤدي
في الأغلب إلى تغيير في الدلالة ولأن الأديب لا يلتزم دائما
بقواعد الترتيب العامة التي يرصدها اللغويون في اللغة
العادية . وقد لاحظ الدارسون أن Keats يميل إلى تغيير
كبير في ترتيب الجمل ، من نحو :

مثل « Much have I travell'd in the realms of gold »
ومثل « Yet did I never breathe its pure serene »^(١١)
« Then felt I like some watcher of the skies ».

٥ - دراسة « الفضائل النحوية » كالتذكير والتأنيث
والتعريف والتكثير والعدد .

٦ - دراسة الصيغ الفعلية ، وتركيباتها ، والزمن ،
وتتابعه .

٧ - دراسة البناء للمعلوم والبناء للمجهول
٨ - يميل علماء الأسلوب إلى استخدام طريقة النحو

التحويل في بحث « البنية العميقة » لتركيبات مؤلف
معين ، لأنها تساعد أولا على فهم كثير من المسائل
الغامضة في النص ، وتساعد ثانيا على معرفة ما أضافه هذا
المؤلف إلى أساليب اللغة في التركيب . انظر مثلا إلى الجملة
الآتية في قصة من قصص James Joyce

« Gazing up into the darkness. I saw myself as a
creature driven and derided by vanity ».

يمكن تحليلها على « البنية العميقة » دون أن تفقد شيئا من
المضمون على النحو التالي :

« I gazed up into the darkness. I saw myself as a
creature - The creature was driven by Vanity ».

على أن دراسة التركيب عند الأسلوبيين لا تقتصر على
بحث جزء الجملة أو الجملة ، وإنما يتعداها إلى بحث
الفقرة والموضع ثم العمل الفني كاملا .

■ ثالثا : الألفاظ :

وهو من أهم عناصر التحليل الأسلوبى لما له من تأثير
جوهرى على المعانى ، ونحن نركز هنا على ما يلى :

١ - دراسة الكلمة وتركيباتها وبخاصة بحث

« المورفيات » التي يستخدمها المؤلف .

٢ - الصيغ الاشتقاقية وتأثيرها على الفكرة .

٣ - « المصاحبات » اللغوية Collocations . إذ أن
هناك ألفاظا معينة في اللغة لا تكاد ننطقها إلا وتستصحب
معها ألفاظا أخرى معينة ، ولا بد من رصد هذه
المصاحبات في موضوع معين عند مؤلف معين .

٤ - دراسة المجاز على أن يكون ذلك مجازا أصيلا
بمعنى الأناجيزى وراء كل ما نلاحظ من أركان التشبيه أو
الاستعارة لأن كثيرا منها يتحول مع الزمن ومع الاستعمال
إلى مجاز « ميت » أو مجاز « نائم » ، فنحن حين نتحدث
الآن مثلا عن « ميدان دراسة الأسلوب » و « أدواتها » ،
و « أهدافها » وعن « إلقاء الضوء على الملامح المميزة لمؤلف
معين » لا نتحدث حديثا مجازيا لأن هذه الألفاظ فقدت
طبيعتها الاستعارية فقدانا كاملا أو غير كامل وفق ما يشير
إليه السياق .

وبعد ، فهذه مستويات التحليل التي يتبعها دارسو
الأسلوب اللغويين وهم يطبقون طريقتهم في التحليل
اللغوي ، ويستخدمون الإحصاء على ما بيناه ، وذلك في
ظنهم يقدم معايير موضوعية يمكن للناقد الأدبي أن يعتمد
عليها في الوصول إلى موضوعية التفسير .

ولنا بعد ذلك ملاحظتان :

■ الملاحظة الأولى :

أن عددا كبيرا من الباحثين اللغويين الناشئين بدأ يتجه
إلى علم الأسلوب في إعداد الرسائل الجامعية المتخصصة ،
وتلك ظاهرة طيبة تتيح لهم فرصة الاتصال بالتحليل
اللغوي الحديث من ناحية ، وتجعلهم يتصلون بالنصوص
الأدبية من ناحية أخرى بما يبعد عن أعمالهم « جفاف »
العلم الذي يلح عليه الدرس اللغوي الحديث . لكن
الملاحظ أن معظم هذه الرسائل يقع في شيئين :

أولها: غياب المنهج حتى ليختلط الأمر على أصحابها
بين البحث اللغوي والبحث في تاريخ الأدب أو النقد
وهم يركزون في الأغلب على مبحث الألفاظ لكن على
منهج غير علمي يمكن أن يسمى تجاوزا درسا فيلولوجيا ،
لأنهم يبذلون أغلب الجهد في محاولة تتبع ألفاظ المؤلف
وتطورها من مدلولاتها « المادية » إلى مدلولات « مجردة »
معتمدين في ذلك على المعاجم العربية القديمة ، وكل

4. Stephan Ullmann, *Language and Style*, Blackwell, Oxford, 1964.
Mcintosh and Halliday, *Patterns of Language*, Longman, 1966.
5. David Grystal and Derek Davy, *Investigating English style*, Longman, 1969.
6. G.N. Leech, *A Linguistic Guide to English Poetry*, Longman, 1969.
7. David Lodge, *Language of Fiction: Essays in Criticism and verbal Analysis of the English Novel*, «Routledge, 1966».
8. «قدم الدكتور علي عزت في هذا المجال دراسة موجزة عن شعر صلاح عبد الصبور وبدر شاكر السياب :
Ezzat, A., «Linguistics and the Interpretation of Literature», in, *Essays on Language and Literature*, Beirut, Arab University Publication's Beirut, 1972.
« Language and Implications in the Poetry of Badr Shaker El-Sayyab, a Lexical Statement», in *Studies in Linguistics*, Beirut Arab University- 1975.
وقد ظهرت له دراسة مماثلة بالعربية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ .
9. Quoted from his «Linguistics and Literary History» in Ullmann: *Language and style*» p. 122.
أنظر كتابنا : اللغة وعلوم المجتمع ، الاسكندرية ١٩٧٧ ص ٢٢ - ٣٤ .
11. Graham Hough, *Style and Stylistics*, Routledge 1969.
12. *Language and Style*, op. cit., p. 119.
13. quoted from Act I of the Winter's Tale, in Turner, *Stylistics*, Penguin, 1973, p. 39.
14. Ibid., p. 77.

ذلك غير جائز لأن مادة المعاجم التي بين أيدينا لا تصلح في دراسة تطور الألفاظ ومدلولاتها ، ومثل هذا العمل ينبغي أن يعتمد على النصوص وعلى الاستعمال ، وهو مطلب غير يسير .

وثانيها : أن الباحثين الذين يتصلون بالدرس اللغوي الحديث ومناهجه يطبقون على بحث الأسلوب طريقة الإحصاء تطبيقاً شاملاً بحيث ينتهي العمل العلمي دون أن نجد لهذا الجهد نفعا فيما تحتاجه النصوص من تفسير .

■ والملاحظة الثانية :

أن الدراسات القديمة كانت تتميز بوجود « البلاغة » في أشكالها القديمة ، وأن هذه البلاغة فقدت مكانها في الدرس الحديث ، فهل يؤدي « علم الأسلوب » إلى نشأة ما يمكن أن نسميه « البلاغة الجديدة » ؟ وهل يؤدي ذلك كله إلى ما يمكن أن نطلق عليه « النقد الشامل » ؟

■ هوامش البحث

1. De Saussure: *Course in General Linguistics*, Translated by Wade Baskin, London 1964, p. 232.
2. Chomsky: *Cartesian Linguistics*, Harper & Row, New York, 1966.
3. Chomsky: *Language and Mind*, Harcourt Brace Jovanovich, Inc New York, 1972.

فصول

فصول

